"دور النحو في البناء العقلي"

يُعدُّ النحوُ العربي من علوم الآلة التي يستعان بإتقانها على فهم علوم المقاصد واستيعابها؛ كعلوم القرآن الكريم وعلوم السنة النبوية، وعلم أصول الدين والعقائد وعلم الفقه.

وتلك هي الغاية التي يتغيَّاها دارسُ علم النحو العربي،وهي التي تدفعه إلى تعلمه. وفي مساق تحقيق تلك الغاية تكون هناك أهدافٌ أخرى **مرحليَّة** يسعى الدارس إلى تحقيقها ابتداءً حين يتعلم هذا العلم. وقد درَجَ كثيرٌ من المعلِّمين والمصنِّفين في علم النحو تصنيفا علميا على ذكر هدفٍ واحدٍ لا يتجاوزونه إلى غيره، وهو أن هدف علم النحو صونُ اللسان عن الخطأ في الكلام أو النطق ، وصون القلم عن الخطأ في الكتابة، وسبيل تحقيق هذا الهدف هو بيان كيفية ضبطِ الكلمات ونظامِ تأليف الجمل.

ولا ريب أن هذا يُعَدُّ الوظيفةَ الأساسيةَ للنحو العربي. بيد أن ثَمَّةَ هدفَيْنِ آخرَيْنِ، هما من الأهمية بمكان؛ الأول منهما: فَهْمُ المعاني على نحوٍ أدقّ، وله شواهدُ وتطبيقاتٌ كثيرةٌ في القرآن الكريم وفي غيرِه من النصوصِ البيانيةِ العالية، تدُلُّ على أهميته ، وتُبَيّنُ مدَى توقُّفِ فَهْمِ معانيها على النحو العربي ، والثاني منهما: **البناءُ العقليُّ** لدى طالبِ العلمِ.

وبذلك يكون لدينا ثلاثة أهداف للنحو العربي؛ الأوَّلانِ كِلاهما هدفٌ استعماليٌّ يفيد الدارِسَ على مستوى التطبيق والممارسة، و الثالث هدفٌ تكوينيٌّ يُهيّئُ طالب العلمِ تهيئةً عقليةً لاستقبال العلوم الأخرى الآلية والمقاصدية واستيعابها.

وهذا الهدفَ الثالث - وهو موضوع هذا البحث - كان واضحا عند نحاتنا القُدَامَى، وكانت له عندَهُمْ مظاهرُ متعددة يتبين من خلالها ما للنحو من دور في البناء العقلي ،وقد رصدها البحث؛ إنْ في أنماط تآليفهم، وإنْ في معالجاتهم للمادة النحوية، وكان الغرضُ من هذه المظاهر **أن يتعلم الطالبُ طرائقَ التفكير في العلم**، لا أن يتعلَّمَ العلمَ فحسب؛ ومِنْ هنا استنتج البحث أنَّ تحقيقَ هدفِ البناء العقليّ لدى الطالب يجب أن يكون في مرحلة تالية لمرحلة سابقة يتحقق من خلالها الهدفان الأولان؛ إقامةُ اللسانِ والقلم، وفهمُ المعاني على نحوٍ أدقّ، وبهذا يكون ترتيبُ هذه الأهداف الثلاثة التي يحققها علمُ النحو، ترتيبا مقصودا لذاتِهِ.